مفاهيم غير إسلامية

في الشعر الحديث

للعلامة / محمود محمد شاكر*

يقول الدكتور مندور: «وأكثر خَطراً وضراوةً وضرراً من تهمة الخروج على القومية العربية، ممثَّلةً في الإطار التقليدي للقصيدة، تهمة الخروج على الإسلام، بدعوى أن هذا الشعر الجديد يستخدم أحياناً ألفاظاً كثيرة التردّد في دين كريم يعترف به الدين الإسلامي نفسه، كالدين المسيحي، مثل لفظة «الخطيئة» ولفظة «الخلاص» ولفظة «الصلب»، فهذه تهمة غبيّة. ونحن المسلمين نعتبر جميع الديانات السماوية جزءاً من تراثنا الروحي، بل جزءاً من التراث الروحي للبشرية جمعاء. ونحن حتى لو افترضنا العكس، لما جاز هذا التخبط في الاتهام، مراعاةً لمشاعر إخواننا في الوطن الذين شاركونا دائماً أفراحنا وأحزاننا ومعاركنا الوطنية الكبرى ضدّ الاستعمار والرجعية والإقطاع والرأسمالية الجشعة، وهم إخواننا وأشقاؤنا الأعزاء الأقباط». انتهى كلام الدكتور مندور!

وقبل أن أبدأ في بيان ما أريدُ من خطر هذه الكلمات المختلطة التي تُلقى بلا حساب، أحبُّ أن أسألَ سؤالاً، لا أوجهه إلى الدكتور مندور، بل لكُلّ من لا يدينُ بالإسلام من المواطنين: ما الذي يجرح مشاعرَ أحدٍ منهم، إذا قلنا إن لفظ «الخطيئة»، و «الخلاص»، و«الفداء»، و«الصلب»، وهي ألفاظٌ ذات دلالات واضحة في العقيدة المسيحية، ليست لها هذه الدلالات عندنا نحن المسلمين، وليس لها تاريخ أو أثر في حياتنا، كتاريخها وأثرها في حياتهم، وأن المسلم إذا استعملها، فإنه يستعمل ألفاظاً لا تؤدّي معنى واضحاً في نفسه؟ وبلا ريب، لا يستطيع مجيبٌ أن يقول: إنّ هذه المقالة تجرحُني وتؤذي مشاعري! فإنه عندئذ يكون متجنّياً أكبر التجّني في إلزام من لا يدينُ بدينه، أن يدين بمدلولات ألفاظ لا أصل لها في عقيدته. أليس كذلك؟ فاستخدام الدكتور مندور، «أسلوب الحكيم» في عرض هذه المسألة، ضربٌ من المغالطة، وتحويل للأمر كُلّه عن مُسْتَقِرّه، وإدخالٌ للسفسطة في مقام لا يحسنُ فيه إلاّ صريح العقل والمنطق. وإذا جاز للدكتور مندور أن يقول هذا للمسلمين، حتى ينتهوا عن إنكار ذلك على مَنْ يستعمله، لجاز أيضاً لمن يعكس الأمور من المسلمين أن يقول لأهل المسيحية: أرجوكم أن لا تستعملوا لفظ «الخطيئة»، و«الخلاص»، و«الفداء»، و«الصلب»، لأن ذلك يجرح مشاعر المسلمين؟ أمن العدل أن يطالبَ أحدٌ نصرانياً بمثل هذه الحجة المتهافتة؟ هذا خَلْفٌ من القول رديء.

محمود شاكر

وأمرُ الدين أمرٌ جلل، لا يقضي فيه الدكتور مندور، أو لويس عوض، أو غيرهما، بما يشتهي هو ويحبُّ، بألفاظٍ دالّة على معنّى مفهوم، وهي لا دلالة لها إلاّ على سوء تصوُّر الأمور المشكلة التي تفضي إلى أكبر الأخطار. فقول الدكتور مندور «إننا نحن المسلمين نعتبر جميع الديانات السماوية جزءاً من تراثنا الروحي للبشرية جمعاء»، قولٌ لا يقوم على ساقٍ صحيحة ولا ساق عرجاء، وليس يصحُّ له أن يُذيعَ مثل هذا على الناسِ، بلا احتفالٍ ولا تقديرٍ لدلالاته. وأقلُّ ما فيه من الخطأ أنّ قائله لا يحسن أن يفرق بين معنى «الديانة» كما يعرفها كُل ذي دينٍ، وبين معنى «الكتاب» الذي أنزله الله

* عن كتابه «أباطيل وأسمار» ط٢، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٢، ص٢٠٦ وما بعدها.

على نبيّ من أنبيائه. فالمسيحي مثلاً، لا يعدُّ الديانة اليهودية ولا الديانة الإسلامية جزءاً من تراثه الروحي، وإلاّ انتقض عليه دينه - واليهودي أيضاً، لا يعد الديانة المسيحية، ولا الديانة الإسلامية جزءاً من تراثه الروحي، وإلا انتقض عليه دينه - وكذلك المسلم، لا يعدّ الديانة اليهودية ولا الديانة المسيحية جزءاً من تراثه الروحيّ، وإلا انتقض عليه دينه، لأن كل ديانة من هذه الثلاثة عقيدة شاملةٌ منتزعة من كتابها كما هو عندها، وكما تفسرّه، وكل عقيدة مِنْها تنقُض كثيراً من عقائد الديانتين الأُخريين، فغير معقول بوجهٍ من الوجوه أن تعدّ شيئاً مما تنقضه جُزءاً من تراثها الروحي، إلا إذا كان معنى «التراث الروحي» متّسعاً للتناقض الذي لا يقبله عقل عاقل!!

فنحن المسلمين إنما أُمِرْنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأن الله تعالى أنزل التوراةَ على موسى عليه السلام، وأنزل الإنجيل على عيسى ابن مريم عليه السلام، وأنزلَ القرآن على محمد ﷺ بالحق مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهَيْمناً عليه، أي شاهداً عليها أنها حقٌّ من عند الله، أميناً عليها، حافظاً لها، فما وافق القرآنَ فهو الحق، وما خالفه، فالله حاكم بيننا وبينهم فيه يوم القيامة. وهذا بلا ريب صريح المعقول. أمّا أن يكون ما وافق القرآن وما خالفه جميعاً جزءاً من التراث الروحي للمسلمين وغير المسلمين، فهذا إبطالٌ لقضية الدين كُلِّها،

مندور

ويكون معناهُ عندئذٍ أن تنمحي جميع الفروق بين الديانات. وخيرٌ للناسِ يومئذٍ أن يعترفوا جميعاً ببطلان دياناتهم، ويلتمسوا لأنفسهم ديناً آخر يجتمعون عليه. وهذا شيء لا يقول به أحدٌ من أهل الأديان.

وندعُ هذا الخلط في كلام الدكتور مندور، إلى دلالة الألفاظ التي سبق أن ذكرت في مقالتي الخامسة أن لويس عوض، منذ ملأه مالئه في «الخلوة المشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج» ثم أطلقه خلال الأدب عامّة، والآداب العربية خاصة، لا يكاد يرى في سماديره إلا «الصليب» و «الخلاص» و«الفداء» و«الخطيئة». ولا يكاد يرى ما يكتبه الكتاب والشعراء، كتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وصلاح عبد الصبور، وغيرهم، إلا مقروناً بهذه العقائد. وهذه الألفاظ هي نفس الألفاظ التي جاءت في مقال الدكتور مندور، وأفتى فيها بما أفتى!!.

***

وهذه الألفاظ الأربعة ينبغي أن تدرس بلا غموض ولا إبهام، كما يحاول ذلك من يحاوله من صِبْيان المبشرين، وبلا استهانة بدلالاتها كما يحلو ذلك الدكتور مندور وغيرهُ ممن يعدُّها رموزاً لتُراثٍ روحيٍ، لا بأس على المسلم في استعمالها. كلاّ! إن على المسلم كل البأس، لأنه لطريق محفوف بالمخاطر، لمن صدق نَفْسه، وعرفَ حُرْمة الكلمة كيف تقال، وكيف تفسَّر، وكيف توضع في موضعها.

وترتيب هذه الكلمات الأربعة في دلالتها عند القوم يأتي هكذا: «الخطيئة» ، ثم «الفداء»، ثم «الصلب»، ثم «الخلاص».

الحكيم

وتلخيص معنى هذه الألفاظ الأربعة في العقيدة المسيحية: أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم من تراب وقال له: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُماً وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾، فأزلّهما الشيطان عنها. فبهذه المعصية كما نقول نحن، وهي «الخطيئة» عند النصارى، أصبحا هما وذريتهما تحت سلطان هذه الخطيئة، لا ينفكّون منها، واستحق البشر

جميعاً، بخطيئة والديهم، عقاب الآخرة وهلاك الأبد، وهذا هو ناموس العدل الذي لا يتغيَّر، يستحقُّه من عصى الله سبحانه عندهم، ومن ورث خطيئة آدم وزوجه، فإن عاقب الله آدم وذريته على خطيئتهم بهلاك الأبد، فذلك ما يوجبه ناموس عدله في حكمه، ولكن ناموس رحمته يستوجب العفو عنهم، فناقض ناموسُ العدل ناموسَ الرحمة، فتطلَّب الأمر شيئاً يجمع بين الرحمة والعدل، فكانت الفِديَة التي يتم بها ناموس العدل، ويتحقق بها ناموس الرحمة. ولكن ينبغي أن تكون الفِدْية طاهرةً غير مدنّسة. وليس في الكون ما هو

ألفاظ المبشرين يجب أن تدرس بدقة لأن طريقها محفوف بالمخاطر

طاهرٌ بلا دنس إلا الله سبحانه وتعالى. ولكن تعالى الله عن أن يكون فِدْيَةً، فأوجبت المشيئة أن يتخذ جسداً يتَّحد فيه اللاهوت والناسوت، فاتَّحدا في بطن امرأة من ذُرِّية آدم هي مريم، فيكون ولدها إنساناً كاملاً من حيث هو ولدها، وكان الله - تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً - ، في الجسد إلٰهاً كاملاً، فكان المسيح الذي أتى ليكون فِدْية لخلقه، وهذا هو «الفداء». ثم احتمل هذا الإنسان الكامل والإلٰه الكامل، أن يقدَّم ذبيحة، ليكون ذبحه تمزيقاً لصَكِّ الدُّينونة المُصْلَت على رأس بني آدم، فمات المسيح على الصَّليب. فاستوفى ناموس العدل بذلك حقَّه، واستوفى ناموس الرحمة بذلك حقه، وهذا هو «الصلب». وكان احتمال ذلك كُلِّه كفارةً لخطايا العالمين، تخلّصهم من ناموس هلاك الأبد، وهذا هو «الخلاص»، ولما كان البشر كلهم خُطَاةً بخطيئة أبيهم آدم وأمهم، فهم هالكون هلاك الأبد، ولا ينجيهم من عقاب الشريعة الإلٰهية العادل المخيف، سوى إيمانهم بالمسيح الفَادِي، وبحضوره في كل وقت في قلوب المؤمنين، في الفرح والحزن والشقاء والسعادة، فهو الذي يؤازرهم بما يحتاجون إليه من العون، والحكمة، ويخلصهم من ثقل الخطيئة، وينجيهم من العقوبة المستحقة عليهم منذ كانت الخطيئة الأولى.

وهذه «الألفاظ الأربعة» لا تعامل معاملة أشباهها، من جهة دلالتها على عقيدة متكاملة. فالخطيئة، في لغة العرب الجاهليين، ثم في لغة المسلمين، لا تحمل شيئاً من معانيها ولوازمها في لغة النصارى، وإن كان اللفظ واحداً. ومعصية آدم عندنا معصية كسائر المعاصي، تمحوها التوبة، وخطيئة كسائر خطايا الناس، تغسلها المغفرة ممن يملك المغفرة، وهو الله سبحانه. وقد بين الله ذلك في قوله: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ* فَأَزَلَّهُمَا الشيْطانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأرضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ* فَتَلَقَّى آدمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. فكانت توبة آدم ماحية لمعصيته في الدنيا والآخرة، لا تستتبع عقوبة باقية، وأن الله سبحانه كتب في صحف إبراهيم وموسى: ﴿ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى﴾. فلا يرث مولودٌ خطيئة والدٍ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإنْسَانِ إلا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الاوْفَى﴾. فهذا ينقض على المسلم استعماله لفظ «الخطيئة»، بمدلولها في الديانة المسيحية. لأن هذا الضرب من «الخطيئة»، لا أصل له في عقيدته، بل هو منهيٌّ أن يعتقد توارُثَ الخطيئة، لأنه إذا اعتقد ذلك كذّب خبر الله في كتابه، بأن لا تزر وازرة وِزْرَ أخرى، وتكذيب خبر الله واعتقاد خلافه كُفْرٌ مجرَّدٌ. لا يختلف في ذلك أحدٌ من المسلمين، ولا العقلاء عامة، مسلمين أو غير مسلمين.

وإذا بطل أن يكون للفظ «الخطيئة» عند المسلمين معنى يحمله، كالذي هو عند النصارى، بطل أن تحتاج معصية آدم إلى فدية تتطلّبها ضرورة الجمع بين الرحمة والعدل. و«الفداء» بالمعنى الذي تدلُّ عليه عقيدة النصارى، غير مفهوم عند أحدٍ من المسلمين، ولا يرى ما يستوجبه، إذ لم تكن الخطيئة عندهم متوارثة في الذرية. وأمّا ما استوجب معنى الفداء من ألوهية المسيح وبنوّته لله، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، فإن الطفل الصغير يقرأ في أوّل ما يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾. ثم يتعالى حتى يقرأ بعد ذلك: ﴿لَقد كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إن اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ وَمَنْ في الأرضِ جَمِيعاً﴾، إلى آيات كثيرة بهذا المعنى، فاستحال أن يكون ذلك من عقيدة أحد من المسلمين. وإذا استحال هذا، استحال ما يوجب معنى «الفداء»، ولا يبقى لهذا اللفظ سوى المعنى اللغوي العربي المشهور.

وإذا بطل هذان المعنيان لهذين اللفظين: «الخطيئة» و«الفداء»، على الوجه الذي هو من عقيدة النصارى وديانتهم ،واستحالَ أن يقولهما المسلم وهو يعتقد فيهما ما يعتقده النصارى، لم يكن للفظ «الصلب» بعد ذلك أي معنى، سوى المعنى اللغوي المشهور، سواء كان المسيح قد صلب كما يعتقد النصارى، أو لم يصلب، كما يعتقد المسلمون، بما أنبأهم الله سبحانه وتعالى، إذ يقول في كتابه الكريم، حين ذكر اليهود وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حقّ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وإنَّ الذين اختلَفُوا فِيهِ لَفي شكٍّ منهُ ما لهُم بهِ مِن عِلْمٍ إلا اتِّبَاعَ الظَنِّ وَمَا قَتَلوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفعهُ اللهُ إلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكيماً﴾.

وإذا استحال أن يكون لهذه الألفاظ الثلاثة معنى عند مسلم يعتقد صِدْق ما نزل على رسول الله ﷺ ربُّهُ من القرآن، استحال أن يكون للفظ «الخلاص» معنى مفهوم عنده، على الوجه الذي يعتقده مَنْ يدين بالنصرانية وعقائدها.

وإذا استحالَ أن يَكون لهذه الألفاظ الأربعة: «الخطيئة» ثم «الفداء» ثم «الصلب»، ثم «الخلاص» معنى مفهوم عنده، على الوجه الذي يعتقده مَنْ يدين بالنصرانية وعقائدها.

«الخطيئة» و«الخلاص» و«الصليب» و«الفداء» لها دلالاتها عند النصارى ويجب التنبه إلى ذلك

وإذا استحالَ أن يَكون لهذه الألفاظ الأربعة: «الخطيئة» ثم «الفداء» ثم «الصلب»، ثم «الخلاص»، معنى عند المسلم على الوجه الذي تدلّ عليه عند أصحابها، فكيف تكون جزءاً من تراثه الروحيّ؟ أهذا كلام يُعْقَل، كلاًّ بلا ريب، لا يعقِله مسلم ولا نصرانيٌّ ولا مجوسيٌّ ، ولا ما شئت من أصحاب العقائد والديانات، ولا يخرج عن أن يكون سُخْفاً لا يُستغفل بمثله النصارى إرادةَ أن نسْتلبَ مودَّتهم. ولن يؤذيَهم ويجرح مشاعرهم أن نكون صُرَحاء في التعبير عن وجوه الخلاف بيننا وبينهم في العقيدة، ولكن ربما آذاهم أن نتخذ ألفاظَ عقيدتهم لهواً، بإدخالها في باب المُداهنة السخيفة التي لا تدلّ على عاطفة صحيحة، بل على آفةٍ شديدة في هذه العاطفة. وكيف لا يؤذيهم، وهم يعرفون أننا نقول لهم شيئاً فيما يمسُّ عقائدهم ، ونحنُ نبطن شيئاً غيره بل نبطن في الحقيقة إنكارَهُ وتكفير القائل به، إن هذا

هذه الألفاظ لا تُعامل في الفكر الإسلامي معاملتها عند غير المسلمين، حيث يعتبرونها عقيدة متكاملة من حيث معانيها ولوازمها

الفعل أقرب إلى السخرية بهم والاستهزاء بعقولهم. وهذا بيان كاف في هذا الأمر إن شاء الله .

***

أما مسألة استخدام الشعر الجديد لهذه الألفاظ الأربعة، فلا بُدَّ من تحديد وجهة النظر إلى هذا الموضوع. فالشعر تراثٌ عامٌّ في كلِّ لغة من اللغاتِ، وسواءٌ كان المتكلم بهذه اللغة مُشرِكاً، أم يهودياً، أم نصرانياً، أم مجوسياً، أم مسلماً، أم جاحداً لذلك كلِّه كافراً به، فمن حقّه أن يستخدم شعر اللغة للبيان عما في نفسه، لا يملكُ أحدٌ أن يدفعه عن ذلك، وليس يجعل شعرَهُ حسناً أن يكون اعتقادُ الشاعر حسَناً عند قارئه، ولا يجعله شيئاً أن يكون اعتقاد الشاعر سيّئاً عند قارئه. فالشعر، هو كما قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- : «الشعر كلامٌ، فحسنهُ حسنٌ، ورديئه رديءٌ ، فخذ الحسن واترك الرديء».

وإذا كان الأمر كذلك، فليس يعيب شعراً يقوله نصرانيٌّ أن يأتي فيه بألفاظ أهل ملتّه، ما دام صادقاً في التعبير عن نفسه بكلام جيد يدخل في باب الشعر. وتأتي على النفوس أزمان وأحوالٌ، تكون بعض ألفاظ العقيدةِ كأنها جوٌّ شاملٌ محيط بالنفس الإنسانية، عميقُ الوخْز فيها، شديد التفجير لها من نواحيها، فتجري الألفاظُ عندئذٍ في مَدِّ النَّفس، تلوحُ معبّرة عن معانٍ مختزنة من تجارب القرون التي عاشت بهذه العقيدة، ومن التجربة الحديثة التي نبعتْ وانبثقت في نفس هذا الشاعر أو ذاك. فالنصرانيُّ المعتقد في «خطيئة» أبيه آدم أنَّها خطيئة لا تمحوها توبة، وأنّه ورث هذه الخطيئة في دمه، وأن نكال الهلاك الخالد جاثِمٌ على روحه، إذا استدفعه الإحساس الطاغي الصادق إلى الإبانة عن كُلّ ما في نفسِه من تراث دينه وعقيدته وثقافته، فذكر بعد ذلك «الفداءَ»، و«الصلب»، و«الخلاص» ، في حَقِّ موضعِه من الشعرِ، فقد أحسنَ غاية الإحسان في الإبانة عن نَفْسه، وعَسىَ أن يقرأه المسلم وغير المسلم، ممن شَمّ طَرَفاً من معرفة عقائد النصرانية، فيهتزّ لهذا الشّعر اهتزازه لأيّ شعر آخر، ضُمِّن بياناً مشرقاً عن إحساس صحيح نابضٍ. وأظنُّ أن الذين يتكلمون في «معركة الشعر»، لم يريدوا قطُّ أن يحجروا على النصارى أن يقولوا من جيِّد شعرهم ما جادت قرائحهم بالجيد من الشعر، ولم يستنكروا على ذي عقيدة أن تجري ألفاظ عقيدته في شعره.

ولكن الشيء العجيب المحيِّر، هو أن كثيراً من رُوَّاد الشعر الحديث في السنوات الأخيرة، قد أوغلوا في استخدام هذه الألفاظ الأربعة، وقليل من أشباهها، في شعرهم، وهم جميعاً مسلمون!! فالأمر عندئذٍ يوجب إعادة النظر. أهؤلاء جميعاً قد تواطؤوا على استعمال هذه الألفاظ الأربعة بدلالتها اللغوية المجرّدة، أم بدلالتها التي تتطلبها العقيدة المسيحية مترابطةً متواصلةً لا ينقطع حبلُ معانيها المتداعية من «الخطيئة» إلى «الفداء»، إلى «الصلب»، إلى «الخلاص» كما أسلفت بيانه ؟

فإذا كانوا قد تواطأوا على استعمالها بدلالتها اللغوية المجرّدة فما الذي ألزمهم هذه الألفاظ الأربعة، ولم يضعوا مكان الخطيئة مثلاً «الإثم»، أو «الذنب» أو «الحُوب» أو «المعصية»، أو «الزلّة» أو ما شئت؟ وكيف تواطأوا، على تباعد الديار والأوطان، على هذه الكلمة، وأيُّ سحرٍ فيها؟

ولم قالوا «الفداء» وأكثروا، ولم يقولوا قط«الكفّارة»؟، ولم قالوا «الصلب» و«الصليب»، ولم يقولوا «الشنق»، «المشنقة» وهي أشهر وأعرف وأكثر استعمالاً إلى اليوم؟ ولم قالوا: «الخلاص»، ولم يقولوا «النَّجَاة»؟ والجواب بلا شك أنهم لم يستعملوها بدلالتها اللغوية، ولا فكّروا في ذلك، لأسباب كثيرة جداً، أقلّها أن التواطؤ على هذه الصورة في ألفاظ أربعة من اللغة، يدخُل في باب المُحال عقلاً حُدُوثُه، إذا زعم الزاعم أن ذلك واقع اتفاقاً ومصادفةً، فطابق الألفاظ الأربعة التي تقوم عليها العقيدة المسيحية.

***

ومن المغالطة الفاضحة ما قرأته في صحيفة لويس عوض، (المعروفة الآن بصحيفة الأهرام!!)، حيث زعم الكاتب أن أكبر ما أضافته الحركة الشعرية الجديدة هو الاستعانة بالرَّمْز، فالصلبُ عند كثير من الشعراء، رمزٌ لتضحية الإنسان في سبيل القِيمة التي يُؤمنُ بها. والإسلام يعرف كلمة «الخطيئة » كما قال القرآن الكريم: ﴿**واغفر لي خطيئتي يوم الدين**﴾. وهذا نصُّ كلامه. ولست أدري كيف يتكلّم الناسُ هذه الأيام، أبألسنتهم دون عقولهم، أم بهواجسهم دون تأمُّلاتهم، أم بخطراتهم دون أفكارهم؟ لماذا كان «الصلب» رمزاً للتضحية، ولم يكن القتل، ولا الشنق ولا المثْلَة، ولا «الخازوق»، ما دام الأمر يتعلّقُ باللفظ دون دلالته المرتبطة بمصلوب بعينه أو مقتول أو مشنوق أو ممثَّل به أو مُخَوْزَقٍ!! وأما «الخطيئة» فلم يقل لنا ما هو الرمز الذي اتخِذَت له. والإسلام كما يعرف «الخطيئة»، وهي التي يحتقبها أبناء آدم، يعرف «المعصية» و«الذنب»، وقال في ذكر أبينا آدم: ﴿**وَعَصى آدمُ رَبَّهُ فَغَوى**﴾، ولم يُسَمِّ معصية آدم «خطيئة» قَطُّ. فهذه مغالطات معيبة. (وبالمرّة يحسن أن يقال

استخدام الشعر الجديد لهذه الألفاظ يجب أن يقف عند حد، فالشعر تجارب القرون وابن بيئته وموروثه

لهذا الكاتب ألا يتَّبع سبيل المستهينين بحقوق الألفاظ والنقول، فليس في القرآن آية كالتي ذكرها، بل الذي قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغفِرَ لِي خطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾. فلزم التنويه)! يا للعجب لصحيفة الأهرام!! ما أشدَّ عنايتها وحَفاوتها بما ينشر فيها!

وقد ذكرتُ هذه المغالطة، لأنها هي الطريقة المستعملة حديثاً(!!) في التفكير، ولأنها هي الستارُ الذي يُلْقَى على الحقيقة المفزعة، مضافاً إلى تَوابِلُ من ذكر «التطوُّر» وسائر الألفاظ التي تباعُ الآن في الصُّحُف منظومة في الأعمدة، كما تباع عقود الفُلّ والياسمين على الأرصفة!!. ولكن من البيّن أن هذه المغالطة قريبة مكشوفة، كما سلف. والحقيقة أن الأمر كُلّه يتلخَّصُ في كلمات قلائل:

فهذه الكلمات الأربع، وهي أسُّ العقيدة المسيحية، لا يمكن أن تقع اتفاقاً، فيتواطأ عليها بعض الشعراء، لا عن عقيدة، بل عن رَمْزٍ لشيء يجدونه في حياتهم، فلا يجدون إلا هذه الأربعة بأعيانها. هذا باطِلٌ بالطبع. ولكن الواقع أن في بعض البلاد وبعض الطوائف من جعل دَيْدَنه في شعره، ذكر هذه الأربعة، ولا يُعاب أن يذكرها لأنه مسيحيٌّ يعيشها عقيدة واقتناعاً، بجميع ما تلزمه العقيدة من امتداد معاني هذه الألفاظ وروابط بعضها ببعض.

ولكن هذا الضربَ من الشعر، قد توَّلى منذ قديم بعضُ صبيان المبشرين الترويجَ لَهُ، والإكثارَ من التلويح

بأنه الجديدُ الذي لا جديدَ غيرُه وأكثروا في ذلك الصخب واللجاجة في الصحف والمجلات، وقارنَ ذلك تَفَشّي شعر «إليوت»، ومذهبه في تحديد الثقافة، وأن ثقافة الشعب، ودين الشعب، مظهران مختلفان لشيء واحد، لأن «الثقافة» في جوهرها تجسيد لدين الشعب، وأن السير إلى الإيمان الديني عن طريق الاجتذاب الثقافي، ظاهرة طبيعية مقبولة.

إذا كان نظام دنلوب الإنجليزي حاول قتل اللغة في دارها فيجب أن تهب لنجدتها القلوب المخلصة

هكذا يرى «إليوت».

وبمكر وخبث شديد، مُزج بين «إليوت» ومذاهبه، وبين هذا الشعر الذي يحمل هذه الألفاظ الأربعة في فئة غريبة الأطوار من دراويش جبل لبنان.

وجلجَل الدُّعاةُ بالمقالات الطَنانة، واتخذتْ في كل بلد عربيّ ركائزَ لهذه الأبواق، تذيعُ ما يلقى إليها أو تُلقّنه، وظهر في مصر في أوائل هذا الوقت صبيٌّ «الخلوة المشهودة تحت أشجار الدردار»، وأطافت به طائفة على شاكلته، وكان يومئذ في الجامعة مدرساً للغة الإنجليزية، وكتب شعر بلوتولاند الذي دللتُ عليه -وكان الصبيُّ القديم «سلامة موسى» قَدْ هَرِمَ وصار كهفاً لأُغَيْلِمَةَ المبشرين في مصر- وبدأ لويس عوض نفث السموم، فصادف ذلك شباباً قَلَّ محصولهم من الجدّ في القراءة، وسَئِمُوا الشيء الذي يلقى إليهم فلا يفهمونه ولا يحترمونه، لأن نظام دنلوب كان قد انتهى إلى غايته في قتل اللغة العربية في عُقْرِ دارها، في مصر، ولا يزال يَفْعَلُ، إلاّ أن تتداركها العزائم المخلصة.

فمن هنا بدأت هذه الألفاظ الأربعة تأخذ طريقها إلى ألسنة هذه الطائفة من الشعراء المحدثين، مقرونةً بالحملة المبدِّدَة لموازين الشعر القديم. فكان المسلمون من هؤلاء الشعراء، إنما يستعملون هذه الألفاظ لظنهم أنها جزء متمم لجدَّة الشعر، والإحساس بواقع الحياة التي يعيشونها، بما فيها من آلام الحَيْرة والضياع والاستبداد والمخاوف، فكان لهذه الألفاظ الجديدة سِحْرٌ في نفوسهم، فاتخذوها تقليداً، بلا فَهْمٍ لما تنطوي عليه من الدلالات. وكلما نشأ ناشئٌ منهم، قام له مَنْ يُثني عليه ويمتدحُه ويذيع بشعره، حتى يجتذب إلى تقليده آخرين. وتفشّت الكلماتُ، وطال عليها بعض الأمد. فلما جاء الاعتراضُ عليها، التمسوا تفسيراً لهذه الألفاظ المقلّدة التي لا صدَى لها في نفوسهم، فقالوا هي «رمزٌ» فإذا سألتهم: رمزٌ لماذا؟ ولم كانت هذه الأربعة دون غيرها هي الرموز؟ - لم يُجيروا جواباً، إلا كالجواب الذي أسلفنا ذكره، بما فيه من المغالطة. فالأمر كُلُّه مبنيٌّ على تقليد مجرَّدٍ، لا قيمة له، فالمقلِّد لا يفلح أبداً، وإنّما يُفْلِح من جاء الإحساسُ بالشيء من قَرارة نفسه، وقليلٌ ما هُمْ في كُلْ من يتكلم.

وفي هذا الأوان نفسه، يقوم لويس عوض وصبيانه بتفسير آثار توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وصلاح عبد الصبور، على أساس من مفهوم هذه الألفاظ الأربعة، وأنهم وإن كانوا مسلمين، فإن آثارهم التي لا تحمل هذه الكلمات الأربعة بنصها تحملها جميعاً بمعناها ومبناها؟ وهذه إحدى الأعاجيب، ولكن ليس بعجيب أن يكون المبشِّر الداعية إلى تحطيم المجتمع العربيّ في خلال هذه الفترة الشديدة الخطر، قد لقّنَ كما لُقّن غيره من الأبْوَاق في أماكن مختلفة، بين كتّاب وشعراء، أن يبدأوا بثّ هذه الأفكار التي تُوهنُ الشعور باليقظة، وتشكّك في الماضي، وتُعلِّم النَّشْء التقليدَ، أي الكذب على النفس وعلى الناس.

تركةُ تاجرِ مِسْك

شعر: عصام الغزالي

يـا تاجـراً للمسكِ، لا في السوقِ بـالمال ... خلَّفت ربْحَ المسك في الذكرى وفي الآلِ
فـــارقتني والـــدمعُ في عينـيَّ مُحتبَسٌ ... لكنَّ ريحَ المسك حـولي أصلحت بـالي

***

علَّمتني.. علَّمتَ مـن قبلي أســاتــذتي ... .. علَّمتنا القـرآن .. طِبْ في قبرك العالي
يـــا حملاً للعطـــرِ أنّى سرتَ تنشرهُ ... يهنيك .. فـاح اللحـدُ بالآيـات والتـالي

***

بُوركـتَ يومَ البعث في يُمنـاكَ مُصحفُها ... والنـاسُ يـومَ البعث في خـوفٍ وزلـزالِ
نـاداكَ صـوتُ الحق والأفواجُ حـاشـدةٌ ... اخـرج من الأمـواج واستمتعْ بـإطـلالي

***

يـا حـافظ التنـزيل في صـدرٍ وفي شَفَـةٍ ... يـرقـى بك الترتيلُ من حـالٍ إلى حـالِ
والنـورُ حول الـوجه من رِفقٍ ومن دَعَـةٍ ... والظلُّ ظـلُّ اللهِ من عفـــوٍ وإقبـــالِ

***

يـا تـاجـراً للمسكِ إن الـــربْحَ يَغمُرُنـا ... فـالـــربحُ عنـد الله قنطـــارٌ لمثقـالِ
خلَّفتَ مـا خلفتَ مـن دينٍ وتـربيـةٍ ... أحنى على الأبنـاءِ من عـمٍ ومن خـالِ
أغنيـتَ مَن قـــدَّرتَ أن اللهَ مخرجُهـم ... مِن كـل ضيقٍ نَـــالَهمْ مِن غير إذلالِ

***

يـا تـاجـراً للمسكِ إرْثُ المسكِ ثـروتُنـا ... تـربـو مع الإنفـاق من علمٍ ومن مَـالِ
مـا زال رِيحُ المسكِ مِلءَ البيت يـا أبتي ... والخطُّ في الأوراقِ من نـــورٍ وسلســالِ
والعطـرُ في الأركـــانِ والآذانِ أجمعهـا ... والمصحفُ المفتوحُ في المحرابِ أوحى لي:
(البيتُ بيتُ العلم والقـرآنِ يـا ولـدي) ... يـا والدي- والـردُّ في صمتي وإجـلالي:
(غـربلتُ مـا للخير مِن ذكـراك يـا أبتي ... فـاهنأْ .. أقلُّ الشرِّ لم يُفـرزْه غُـربـالي
والعِـرْقُ في الأحفـاد، والآمـالُ تُطمِعني ... أن يجلسَ المولـودُ في كـرسيِّكَ الخالي)

أشواق طفل

عبد الرحمن الصوفي

يـــا أُمَّتي إنّي مُنـــاكِ المُخْضِلُ ... فِيَّ انْطـــــوىٰ وَتَفَتَّح المُسْتَقْبَلُ

مِنْ نـورِ عَيْني قَـدْ هَمتْ كُلُّ الـرؤى ... وَبها يُصـــــاغُ المستحبُّ الأجْمَلُ

وَمِـنَ الثَّغـــاءِ المُستفيضِ على فمي ... يَتَفَتَّـقُ الكَلِـمُ الحكيـمُ وَيَنْهَـلُ

كَم مُبْـدع، كم قـائِدٍ، كم عـالِمٍ ... بِعَبـــاءَتي وَبَـــراءَتي يَتَسْربَـلُ

وَنَماءُ جسمي عَبْرَ يـومي عُـدَّةٌ ... تُبْنَىٰ بها أُسُسُ القِـوىٰ وَتُـؤهَّـلُ

وَأَوَدُّ لـو أطـوي الخُطىٰ في خُطْـوَةٍ ... وأطيرُ تَـوّاً عَلَّني أَتَـوَصَّـلُ

وأخـوضُ مُعْتَرَكَ الـرجـولـةِ أمْتطَي ... مَتنَ المكـارِمِ بـالتّقى أَتـوَسَّلُ

لِبنـاءِ صرحَ المجـدِ مَعْقِلِ أُمَّتي ... بـالحقِّ والخيْرِ المؤَرجِ يَـرْفُلُ

فهيَ القمينـةُ كي تقـدَّمَ للـدُّنىٰ ... سَنَنَ الفـلاحِ فَـدَرْبُها لا يَخْطُلُ

وَحْيُ السماءِ مُنَـزِّلاً كـلَّ الهُدىٰ ... والأسْـوَةُ المُثْلَىٰ اقتَفـاهـا مُـرْسَلُ

* * * * * *

يـا أُمّتي! الله أوجَـدَ فِطْـرَتي ... بَيْضـــاءَ لا سرٌّ بها تَتَمَثَّـلُ

هيّـا اغْـرُسي فيهـا الفضـائلَ قَـرَّةً ... لِيَقـومَ نَشءٌ بـالحِجـا يَتَجَمَّلُ

لا تْحسَبي أنَّ اللقيمـةَ مُنيتي ... فَغِـذاءُ روحي بـالمحـامِـدِ أفْضلُ

وَمعَ الـرَّضـاعـةِ كَـمْ يطيبُ تعلُّمي ... وَلَطـالما عِـوَجٌ بها يَتَغَلْغَـلُ

والعِلْمُ في صِغَـرٍ يـدومُ بقـاؤُه ... كـالنَّقشِ في عُمْقِ القلـوبِ يُـؤثِّلُ

والعلـمُ لا يجدي إذا لم يُمتَثَـلْ ... للـدّيـنِ والأخـلاقِ حَيْثُ يُعَـوَّلُ

والعلـمُ إنْ يُلْحِـدْ يَجُّر لنكْبَـةٍ ... إنْ أمْهَلَتْ ليستْ طـويـلاً تُهْمِلُ

* * * * * *

يـا أُمَّتي إنْ كُنتِ حَقـاً تَعْمَلينَ ... لِـرفْعَـةٍ فبنَهْضَتي يُتَـوَسَّلُ

رُدِّي المفـاسِدَ عن حِياضي والـزَمي ... نَهْجَ النبَّـوةِ بـالهُدىٰ يَتَنَـزَّلُ

وَبِـدونِ ذلك فـالطـريقُ إلى عَمىٰ ... وَنَعـودُ مِنْ فِعْلٍ يُضِلُ وَيَجْهَـلُ

«سراييفو» .. المائدة.. !

عبد الله شرف

... يا .. للحواريين ..
أثقلهم حديث العفو .. فالبيداء .. أنهار من الدم ..
والطيور مجندلات .. .. والصبايا ..
أيها القيظ المدمى ..
من يقود خيول أيّامىٰ ..
ثُغاء في ثُغاء .. يرتمي ..
والأفق لقمة جائعين ..
وللجواد طرائق ..
عفت الكلاب محلُّها .. ومقامُها ..
وسرى الحواريون ..
لاجهةَ اليمين خدودُهم دارتْ ...
ولا جهةَ اليسار

***

يا للحواريين..
تلك ثيابهم نضحت على الأضلاع..
حتى أُشربوا ..

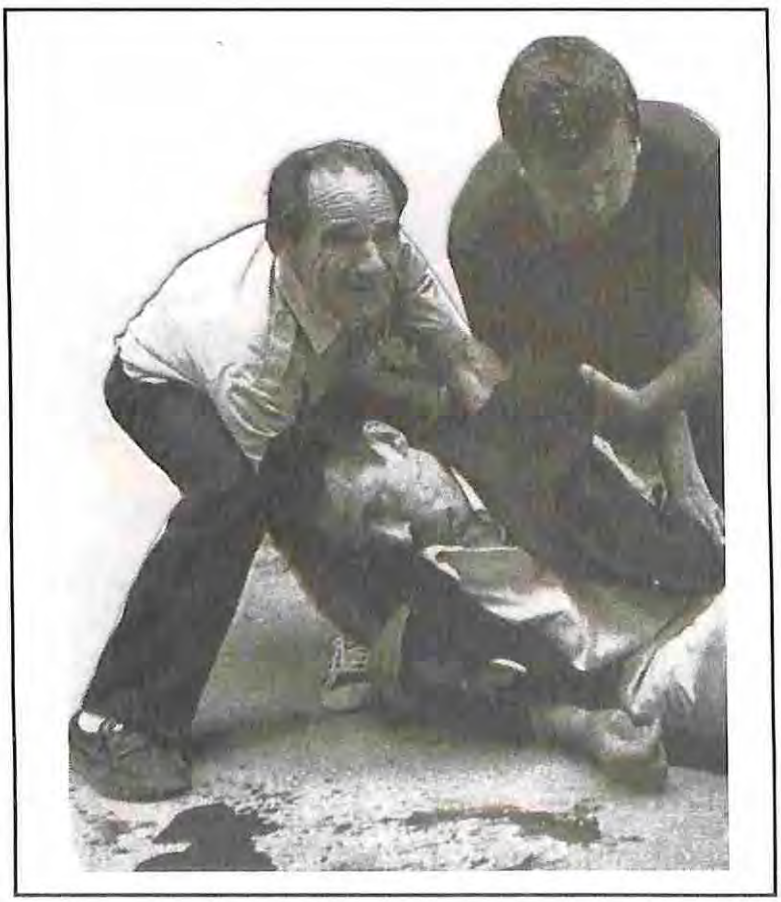

فالأرض -مائدة الحواريين .. بالدخانها-،
لحم .. وأقداح من الدم مترعات ..
كفٌ أُنثىٰ .. فوقها ساقٌ لبنت كالزهور ..،
ورأس طفل .. تلك مائدة الحواريين- ..
للتاريخ ذاكرة ..
يخط حروفها وهَج الأسنة ..،
للردىٰ الخوَر المُدَجَّج بالتخاذل ..
- تلك مائدة الحواريين-..،
والأقداح من قحف النساء..،
- أقلت هذا «يا يسوعُ»..،
خرائب .. تتري
وحقد في الصدور ..
مباءة رقصت كلاب البيد فوق ترابها،
- لما غفتْ خيلي-، وزُيّفَ رَهْجُها
أمّا ترتقي درج الجماجم ..
كي تهلل للعدالة ..
والحواريون أثقلهم حديث العفو .. ها ...
هم .. والخراف بنو الأفاعي يرتعون...
أنين أطفال .. ودمعة طائر ..
وجناح ضوء، والذئاب على المدى ..
فعلى سراييفو السلام ... وبالصليب مَسّرة
والموت للضوء المعطر .. والنهار

***

يا للحواريين.
غربان تُهلّل..
والمَدىٰ شمس مضرَّجة ..
وامواجٌ من الدم والرماد ...
- أقلتُ هذا يا «يسوع» ..
غصون زيتون مهشمة .. وأجراس تدق .. مذابح ..
ومن الصليب تساقط الدم .. والردى ..
فلمن غداً ستجلجل الأجراس ..
يا وجعاً يدور .. -،
- أقلت هذا يا يسوع .. -،
على سراييفو السلام .. وبالصليب مسرَّة ..
فإلىٰ متىٰ ..
سئم الجواد من الوقوف ..
ولم يعد يُجدي الحوار

أشعر بالخجل*

(قصيدة مهداة إلى طفل البوسنة)

للشاعر التركي: محمد صارمش

أيتها البلدة الدامية
يا بلدة الطفل الأزرق العينين
أشعر بالخجل وأنا أخاطبه من بعيد..
دون أن أقف بجانبه

أخجل من قولي:
«أنا منكم ... أنا مسلم»
بينما أصحاب أخدود القرن العشرين
في أبراج البوسنة والهرسك يقفون مُتَحَدِّين
يشعلون فيكم ناراً تحرق وتبيد

نضب اللبن من ثدي أُمّك
وربما لم يعد لها ثدي
وربما لم يعد لك أمّ!..
ولكن من المؤكد أنك تتضور جوعاً
وقد علقتَ الآمال على قطعة من المطّاط
نضبت هي الأخرى فلم تَجُدْ بشيء عليك
وأنا اشتري الخبز من البقال
والموائد في بيتنا تقام لترفع
أشعر بالخجل لأني لست جائعاً مثلك

ها هو ذا الشتاء قد هجم
وغطت الثلوج كل الأرض والقمم
(وتدنّت درجة الحرارة) حتى خرق البرد ميزان الحرارة
وأنت بلا مأوى، بلا مدفأة، بلا حطب

(*) ترجمة المحرر عن مجلة «الأدب الأسلامي» التركية.

بلا أب، بلا أمّ تحنو عليك
فتبعث في أطرافك الدفء
بلا حضن يضمّ
أنت ترتعش برداً
والمدفأة في بيتنا تتأجج نارا
أنا أشعر بالخجل فالشتاء لم يعرف بيتنا هذا العام

من المؤكد أنك لم تعرف للنوم طعماً
فدوي القنابل فوق رأسك بلا انقطاع
ولم تعد تسمع الهدهدة بل قعقعة السلاح
الدماء في كل مكان
لقد دنّس الخنازير أختك
وأنت بلا أب، بلا أم، بلا بيت..
بل أنت في أحضان القتلة الذين أبادوهم
أنت تبكي، وأنا أشعر بالخجل من قولي:
«النوم لم يزر أجفاني»
لا أطيق حتى مجرد النظر
فمن الخجل أسدلت الجفون
أشعر بالخجل حين أحنو على ابني أو ابنتي
حتى حين يضحكون ويمرحون

يا أيتها البلدة المستضعفة
يا بلدة الطفل الأزرق العينين
من أجلك قليلاً تجوّلت
وقليلاً من المال جمعت
أحاول أن أشرح عجزي بين الحين والحين
ولكن اللسان معقود
والقلب مكدود
من أجلك امتنعت عن الطعام اليوم
ومن أجلك قليلاً بكيت

وكتبت شعراً ضعيفاً عاجزاً
وهو تمتمات دعاء
وقليل من رجاء
وشيء من حزن الضعفاء
وهذا هو كل ما عندي..
أشعر بالخجل من نفسي وأقاسمها الخجل
بل وأخجل من الخجل!..

معارضة شعرية:

مِنّي ... ولكن

شعر/ محجوب موسى

قال دُرَيْدُ بْنُ الصِّمة:

وهل أنا إلا من غَزيَّة إنْ غوتْ
غويتُ وإنْ ترشُدْ غَزيَّةُ أرشُدِ

★★★★★★★

غَـزيَّـةُ منّي إنّما في رشـادِهـا
فما كـانت الأرحـامُ للـذل مَعْبَراً
غَـزيّـةُ مُنّي حينَ يَـدْوي نفيرُهـا
ونجـدةِ مظلـومٍ وإلجامِ ظـالمِ
هنـا أفتـديها هـاتفـا: أنتِ من دمي
ولكنْ إذا حـادت عـن الحق مـرّةً
فـلا كـان أصلٌ لا يصـونُ فُـروعَـه
ولا كـانَ فـرعٌ ينتمي لأُصـولـه
أنـا لستُ كلباً نـابحاً أيَّ عـابرٍ
فما قيمـةُ الإنسـان حين تقـودهُ
أنـا مسلمٌ أعني أنـا العـدلُ عينُـهُ
ومـا كنـتُ أختـانُ العـدوَّ أغُـولُـه
وأصرخُ فيـه: هـا أنـا أَلفُ هٰـا أَنـا
فإنْ ريَع من صوْتي الـذي جاء بغتةً
إلىٰ أن يـذودَ الـرَّوْعَ عنـه فنلتَقي

فإن قـارفَتْ غَيّـاً فليستْ قَبيلَتي
ولا كـانتِ الإنسـابُ مَهْرَ الخطيئـةِ
لعـدلٍ وتسعىٰ لاحتضـان الحقيقـةِ
ونشر ضيـاء في غضـون الـدُجُنَّـةِ
ونبض فـؤادي يـا قبيلي وعِتْرتي
أُجلجلُ فيهـا: لم تعـودي عشيرتي
من الشر أو يـدعـو لغيرِ الفَضيلـةِ
إذا لم تعشْ للعـدل بينَ البريَّـةِ
لأنَّ أخـاه يبتـديـهِ بِنَبْحَـةِ
خيـوطٌ بـلا وَعْيٍ بكـفِّ الغَـريـزةِ
فإنْ ضـاع منّي ضـاع ديني ومِلَّتي
من الخَلف مهما كـان أهـلاً لنِقْمتي
إليكَ بسيـفٍ إنْ تكُنْ دونَ عُـدّةِ
وأُسقِطَ منه السيفُ أرجأتُ طعنتي
لقـاءً بـه المقتـولُ ليس بميّتِ

معارضة شعرية:

فكيف بمظلوم أُروّعُ أمنَهُ ... لأنَّ قبيلي لا يرىٰ فيه رُؤْيتي؟

فأُغضبُ فيه الله من أجلِ مَعْشري ... وهم لن يَرُدُّوا النار عن لَفْحِ جَبْهتي

ولن ينفعوني في الحساب ويَحملُوا ... ولو ذَرَّةً من مَأْثَمي أو جَريرتي

وكيفَ أمامَ الله أبْدوُ مُنكّساً ... جبيني خِزْياً غارِقاً في فضيحتي؟

لسانيَ معقولٌ وكُلُّ جوارحي ... شُهودٌ على غَدْري وظُلمي وخِسَّتي

فهل هاهُنا كِبْرُ القبيلة نافعي ... وهل هُوَ من رَبّي مُجيري ومُفْلِتي؟

يَفِرُّ هنا الإنسانُ من كُلّ أهلِه ... فلا أُمَّ تُجْدي أو أبٌ وَزْنَ شَعْرَةِ

غَزيَّةُ أغزو في صفوفِكِ واهِباً ... حياتي إذا كان الجهادُ لِقيمةِ

وإلاّ فسيرى للغواية دونَما ... وجُودي وحَسْبي ما مضىٰ من جَريمةِ

فقد كنتُ مشدوداً إليكِ وفكّني ... من القيد دينٌ أَفْتديه بمُهْجَتي

دعاني إلى عدلٍ وخيرٍ ورحمةٍ ... لِمَنْ هُوَ أهلٌ للخصال الكَريمةِ

يكونُ قريباً أو غريباً فحيثما ... مضىٰ الحَقُّ أمضي دونَ أي تَلَفُّتِ

ألا فاخرُجي من ظلمةِ الأمس للسَّنا ... وثُوبي لِرُشْدٍ تَظْفري بالمحبةِ

فهيهاتَ تُجنىٰ من يدَي أيُّ طاعةٍ ... إذا أغضبتْ ربّي وأَلْوَتْ بذِمّتي

غَزيّةُ إني قد أطلت لتفهمي ... بأني مصرٌّ عاقد كل عزمتي

وأُجْمِلُ قولي كُلَّهُ في عِبارةٍ: ... أنا عبدُ ربّي لستُ عبدَ القبيلةِ

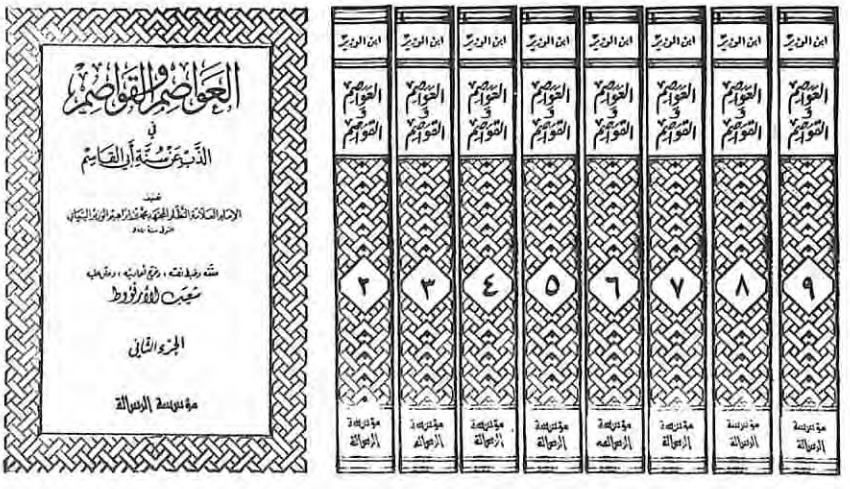

العواصم والقواصم

كتاب عظيم يذب فيه مؤلفه عن السنة النبوية بايراد كلام المبطلين ثم نسفها نسفا بما لا يدع لها قائمة ابدا .

قال عنه الامام الشوكاني : ان العواصم والقواصم يشتمل على فوائد في انواع من العلوم لاتوجد في شيء من الكتب ، ولو خرج هذا الكتاب الى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله . وقال عن مؤلفه " لو قلت ان اليمن لم تنجب مثله لم أبعد عن الصواب"

عِفّةٌ وإباء(*)

لـ: موفق الدين الإربلي

رُبّ دارٍ بالغضا طال بلاها ... عكف الركبُ عليها فبكاها
دَرَسَت إلاّ بقايا أسطرٍ ... سَمَحَ الدهرُ بها ثم مَحاها
كان لي فيها زمانٌ وانقضىٰ ... فسقىٰ اللهُ زماني وسقاها
وقَفَتْ فيها الغواني وقفةً ... ألصقتْ حرَّ ثراها بحشاها
وبكتْ أطلالَها نائبةً ... عن جفوني، أحسن الله جزاها
قُلْ لجيرانٍ مَوَاثيقهمُ ... كلما أحكمتُهَا رثَّتْ قواها
كنت مشغوفاً بكم إذ كنتمُ ... شجراً لا يبلغُ الطيرُ ذُرَاها
لا تبيتُ الليلَ إلاّ حولَها ... حرسٌ ترشحُ بالموت ظُبَاها
وإذا مُدَّتْ إلى أغصانها ... كفُّ جانٍ قطعت دون جناها
فتراخىٰ الأمرُ حتى أصبحت ... هَمَلاً يطمع فيها من رآها
تُخصبُ الأرض فلا أقربُها ... رائداً إلاّ إذا عزّ حِماها
لا يراني اللهُ أرعىٰ روضةً ... سهلةَ الأكناف من شاء رعاها
وإذا ما طمعٌ أغرى بكم ... عرض اليأس لنفسي فثَناها
فصبابات الهوى أولها ... طمعُ النفسِ وهذا منتهاها
لا تظنُّوا لي إليكم رجعةً ... كشف التجريبُ عن عيني عَمَاها

(*) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ١٠ تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت.

باب فضل التعَفُّف(*)

لابن حزم الأندلسي

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حُبه التعفف، وترك ركوب المعصية والفاحشة، وألاّ يرغب عن مُجازاة خالقه له بالنعيم في دار المقامة، وألا يعصي مولاه المتفضل عليه الذي جعل له مكاناً وأهلاً لأمره ونهيه: وأرسل إليه رسله وجعل كلامه ثبتاً لديه، عناية منه بنا وإحساناً إلينا. وإن من هام قلبُه وشُغل باله، واشتد شوقه وعظُم وجده ثم ظفر فرام هواه أن يغلب عقله وشهوته، وأن يقهر دينه، ثم أقام العدل لنفسه حصناً، وعلم أنها النفس الأمارة بالسوء. وذكّرها بعقاب الله تعالى وفكر في اجترائه على خالقه وهو يراه، وحذرها من يوم المعاد والوقوف بين يدي الملك العزيز الشديد العقاب الرحمن الرحيم الذي لا يحتاج إلى بينة، ونظر بعين ضميره إلى انفراده عن كل مدافع بحضرة علاّم الغيوب (**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقَلب سَليم**).

حدثني أبو موسى هارون بن موسى الطبيب قال: رأيت شاباً حَسن الوجه من أهل قُرطبة قد تعبد ورفض الدنيا، وكان له أخ في الله قد سقطت بينهما مؤونة التحفظ، فزاره ذات ليلة وعزم المبيت عنده، فعرضت لصاحب المنزل حاجة إلى بعض معارفه بالبُعد عن منزله. فنهض لها على أن ينصرف مسرعاً. ونزل الشاب في داره مع امرأته، وكانت غاية في الحسن وتربا للضيف في الصبى، فأطال رب المنزل المقام إلى أن مشى العسس ولم يُمكنه الانصراف إلى منزله، فلما علمت المرأة بفوات الوقت وأن زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة تاقت نفسها إلى ذلك الفتى فبرزت إليه ودعته إلى نفسها، ولا ثالث لهما إلا الله عزّ وجلَ، فهمّ بها ثم ثاب إليه عقلُه وفكر في الله عزّ وجلَ فوضع إصبعه على السراج فتفقع ثم قال: يا نفس، ذوقي هذا وأين هذا من نار جهنم. فهال المرأة ما رأت ثم عاودته، فعاودته الشهوة المركّبة في الإنسان فعاد إلى الفعلة الأولى. فانبلج الصباح وسبّابته قد اصطلمتها النار.

أفتظن بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ إلا لفَرط شهوة قد كلبت عليه؟ أو ترى أن الله تعالى يضيّع له المقام؟ كلا إنه لأكرم من ذلك وأعلم.

* طوق الحمامة، ص ٣٠٢، تحقيق فاروق سعد - مكتبة دار الحياة - بيروت.